> أستغرب كيف تفتخر إسبانيا بالمعمار الإسلامي ولا تفتخر بالفلسفة التي كانت وراءه ولا بالمسلمين الذي استوطنوا تلك الأرض لمدة ثمانية قرون

> كتاب الموريسكي للدكتور حسن أوريد هو أحسن ما كتب في قضية الموريسكيين، لأنه كتاب يتعامل مع واقعة تاريخية في قالب روائي جميل

قال إن المشكل الفلسطيني الإسرائيلي معقد، لأن اليهودية والعقيدة البروتستانتية تلتقيان عند ضرورة استيطان إسرائيل الأرض الموعودة، للتمهيد لقدوم المسيح وفناء الأرض

أنوار ماجد: المغرب وإسبانيا يعيشان جدلية الحب والبغض

يسمونه في الغرب بإدوارد سعيد المغربي، ولا يعرفه الكثيرون في المغرب وفي العالم العربي. كتاباته تثير ضجة كبيرة ولا تترجم إلى اللغة العربية. يدرّس في مجالات الآداب والثقافات العالمية، ونظرية ما بعد الاستعمار، والدراسات في التاريخ الفكري بشكل عامّ. وهو مؤلف «كتاب الإسلام وأمريكا: بناء مستقبل من دون التحيز»، و«نحن كل المغاربة»، يتطرق فيه إلى مأساة الموريسكيين، و«دعوة للهرطقة» وغيرها من الكتب. «أخبار اليوم» حاورت «أنوار ماجد» قبل المحاضرة التي سيلقيها في كلية الأدب بالرباط حول العلاقات الأمريكية العربية بعد تطورات الربيع العربي، وصعود الإسلاميين إلى الحكم في العالم العربي.

■ حاوره: **محمد أسعدي** ■

□ كباحث مهتم في العلاقات الدولية ومنها العلاقات المغربية الإسبانية. كيف تنظر حاليا إلى العلاقات بين الجارين؟

● كنت ألفت كتابا عنونته بـage Postandalous، وكانت فكرتي أنه إذا أردنا أن نفهم ما يقع في العالم المعاصر بين الغرب والمسلمين إجمالا يجب أن نرجع إلى سنة 1492 لنرى ما الذي وقع بعد هذه السنة المفصلية. ماذا الذي حدث بين الغرب وبين الحضارات الأخرى؟ كيف تعاطى الغرب مع الأقليات؟ كيف أصبحت أوربا قارة استعمارية؟ علاقتها بالعالم الثالث؟ كل هذه القضايا تفهم انطلاقا مما وقع سنة 1492، خاصة مأساة طرد الموريسكيين، التي مثلت كارثة تاريخية عندها تأثيرات، ولا تزال تسم العلاقات بين البلدان الأوربية والعالم الإسلامي.

ويكفي أن نرجع إلى ما كتبه الدكتور حسن أوريد في روايته التاريخية الرائعة «الموريسكي»، وهي أحسن ما كتب في قضية الموريسكيين، لأنه كتاب يتعامل مع واقعة تاريخية في قالب روائي جميل. وهو الوحيد الذي يظهر جانبا تاريخيا مهما ومفصليا في العلاقات المغربية الإسبانية، والشخوص الموجودة في الرواية تمثل شخوصا مأخوذة من الواقع المغربي. عندما ترى الواقع الإسلامي في الأندلس وعلاقة المغرب بإسبانيا آنذاك والتزمت من الطرفين، يمكن أن تعرف بالضبط وتفهم العلاقات المغربية الإسبانية اليوم.

□ كيف تنظر حاليا إلى صعود الإسلاميين في المغرب واليمين في إسبانيا؟ ما مستقبل هذه العلاقات في ظل تصاعد المد السياسي الديني؟

● أنا دائما أقول إن الحضارات تلتقي في الدرجة الصفر. وإسبانيا هي الدرجة الصفر والملتقى الذي تجمعت فيه الحضارات: الإسلامية والمسيحية واليهودية.

والمسلمون سكنوا إسبانيا لمدة 8 قرون، وحتى وضعية الإسبان اليوم هي نتيجة طبيعية لتأثرهم واحتكاكهم وتلاقحهم بالحضارة الإسلامية سواء من الناحية البيولوجية أو الثقافية أومن الناحية الحربية والسياسية. الإسلام هو أحد المكونات الشخصية الكبرى للإسبان، رغموجود ما يسمى بـ/love hate (الحب والبغض) بين إسبانيا والمغرب. وقد عملنا على إنشاء «المركز العربي الأوربي» في الأندلس لمحاولة جمع الحضارتين، وهي خطوة مهمة لكنها لا تزال في بدايتها الأولى.

□ كيف تفسر حاليا تغير خطاب الحزب الشعبي الإسباني الداعي إلى تعزيز العلاقات مع المغرب، بعدما كانت لهجته في المعارضة قوية وصدامية؟

● حقيقة الخطاب في المعارضة ليس هو الخطاب عندما يصل أي حزب إلى الحكم، وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية يقع مثل هذا الأمر. العمل في الحكم يختلف عن المعارضة، أما بالنسبة إلى الأحزاب فسواء كانت في اليمين أو اليسار فلا أعتقد أنها تشكل فروقات كبرى قادرة على التأثير في سير الحضارة بشكل عام. خاصة ما يتعلق بعلاقة إسبانيا بالمغرب أو بذاكرة البلد وتاريخه ومعتقداته وركائزه الكبرى.

□ ما الذي يعرقل وجود علاقات قوية بين المغرب وإسبانيا؟

● حقيقة المشكلة التي تعرقل حوار المسلمين مع الحضارات الأخرى هو العامل الديني. يجب أن نزيل العامل الديني عندما نريد أن نتحاور مع الآخرين، لأن البعض لا يزال يدعو إلى استرجاع الأندلس. وعلينا أن ننسى هذا العامل عندما نتحاور مع إسبانيا، لأنه بلد تغير كثيرا ولم يعد يعطي للمسألة الدينية أية قيمة. وأدعو في هذا الجانب إلى إبداع وسائل جديدة للحوار مع الآخرين بعيدا عن الدين. ومن جهة أخرى، فإسبانيا يجب عليها أن تعترف بجزء من تاريخها وهو الحضارة الإسلامية، لأن 8 قرون التي سكن فيها الإسلام إسبانيا ليس حدثا تاريخيا عابرا. وأستغرب كيف تفتخر إسبانيا بالمعمار الإسلامي ولا تفتخر بالفلسفة التي كانت وراءه ولا بالمسلمين الذين استوطنوا تلك الأرض وأثروا أيما تأثير في الحضارة الإسبانية إلى اليوم.

□ في كتابك Islam and America ناديت بالتقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه بلد تجمعه الكثير من النقاط المشتركة بالعالم العربي الإسلامي. ما هي هذه النقاط المشتركة؟

● الحضارة الأمريكية اليوم لديها الكثير من الميزات التي يمكن أن تساعد بها العالم الإسلامي من أجل الرقي والتقدم، والكتاب الجديد «الإسلام وأمريكا» يتمحور حول موضوع واحد: لا مفر لنا كمسلمين من أمريكا، لأن المكونات التاريخية والثورة الأمريكية وعواقبها، والطريقة التي غيرت بها العالم الحديث، وكيف غيرت العالم العربي خلال القرن الـ 19(الجامعة الأمريكية في بيروت، مصر، تركيا.. وبناء المستشفيات، الجيش المصري أول جيش نظامي عصري في العالم العربي كوّنه قدماء المحاربين...)، أشياء كثيرة تؤكد كلها على وجود نقاط مشتركة. والنخب العربية خلال القرن الـ 20 تخرجت من هذه الجامعات الأمريكية، وحتى القومية العربية خرجت من هذه الجامعات، والمهاجرون العرب مثل مجموعة خليل جبران وأمين الريحاني كانوا يفتخرون بأمريكا، كما كان العرب آنذاك يفضلون أمريكا على كل حضارات العالم. لكن مع الأسف، هذه الأشياء لم نعد نعرفها، لأن التوترات في الشرق الأوسط حجبت كل هذه المعاير وتحول التقدير والحب العربي لأمريكا إلى الكره.

□ لكن ما الذي حدث بالضبط ليتحول ما سميته بالحب العربي لأمريكا إلى البغض؟

● السبب الأول هو الاستعمار الغربي، سواء الفرنسي أو الانجليزي في الشرق الأوسط، ثانيا اكتشاف البترول، وثالثا تكوين دولة إسرائيل.

هذه ثلاثة أسباب رئيسية لعبت دورا أساسيا في قلب العلاقات والنظرة تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وبالخصوص الصراع العربي الإسرائيلي. أما بالنسبة إلى البترول، فالولايات المتحدة الأمريكية هي أول من اكتشفه وهي التي أغنت الدول العربية.

□ لماذا لا يزال الموقف الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية مستمرا، ولماذا لا تزال تدعم إسرائيل في الأمم المتحدة؟

● تطرقت إلى هذا المشكل في كتابي حول الإسلام وأمريكا، وقلت بأن هذا يرجع إلى الثورة الإصلاحية في أوربا في القرن 16، وظهور البروتستانتية وبداية انفلات السلطة الدنيوية من يد الكنيسة. وبعد أن فتح المجال أمام النشر مع اختراع المطبعة بدأ الناس يقرؤون، فاكتشفوا أن المسيحية جزء من «العهد القديم»، لأن المسيحية لم تكن تدرس إلا «العهد الجديد» الذي يتعرض فقط لحياة المسيح بدون التاريخ اليهودي المدون في «العهد القديم». فاكتشفوا أن هذا الجزء يربطهم بصلات عميقة مع اليهود، ومنذ ذلك الحين، يعتقدون أن رحلتهم إلى أمريكا شبيهة برحلة اليهود من سينا إلى أرض كنعان الموعودة (فلسطين حاليا)، والبروتستانت في ذلك الحين أحسوا بأنهم يعيدون نفس الواقعة عندما هاجروا من أوربا إلى أرض موعودة هي أمريكا. فإذن تطابق التجربتين والهجرتين . حسب هؤلاء يولد تعاطفا طبيعيا تجاه إسرائيل انطلاقا من المرجعية الدينية. وهذا هو عمق الديانة البروتستانتية: ترى أن تاريخ اليهود انعكاس ومرآة للتاريخ البروتستانتي والعكس صحيح.

لكن الجميع اليوم يرجع التعاطف الأمريكي مع إسرائيل إلى وجود لوبي قوي في الولايات المتحدة الأمريكية يرسم السياسة الخارجية الأمريكية.

□ أين دور هذا اللوبي إذا كان الدين البروتستانتي يقوم باللازم؟

● تماما، الناس كلها تهتم بهذا اللوبي وليس لديها إلمام بهذا التاريخ الطويل. ففي القرون 17 و18 و19، كانت القوى الغربية، خاصة فرنسا وبريطانيا، تدعو تركيا إلى منح اليهود أرضهم في إشارة إلى فلسطين، وكانت هذه القوى تعد الإمبراطورية العثمانية وكل المسلمين بالخير وبالدعم مقابل توطين اليهود في أرضهم.

كان المسيحيون منذ البداية يريدون إسكان اليهود في فلسطين، لأن الله وعدهم تلك الأرض، ولن تقوم الساعة ويرجع المسيح حتى يتم توطين اليهود في أرض فلسطين، إذن من المنظور المسيحي يجب أن يعود اليهود إلى تلك الأرض الموعودة للتمهيد لقدوم المسيح وآخر الدنيا. ومعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية كلها بروتستانتية، وهذا التفكير انتشر في مدارس الآحاد Sunday schools بأمريكا. وكل الرؤساء الذين تعاقبوا على الحكم تقريبا مروا من هذه المدارس التي تدعو إلى قيام دولة إسرائيل، وتحقيق الوعد الإلهي برجوع المسيح وفناء الدنيا. فالرئيس الأمريكي، هاري ترومان، عندما اعترف بإسرائيل سنة 1948، كان واعيا وعارفا بهذه المعتقدات.

إذن فصراع الحضارات من هذا الجانب هو صراع الديانات والمفاهيم الدينية، فحتى كريستوف كولومبوس عندما اكتشف أمريكا سنة 1498 كان يريد من وراء ذلك احتلال بيت المقدس، وكان يجهر في كتاباته بأن هدفه الأسمى هو استرجاع القدس. ونفس الشيء بالنسبة إلى الملكة إيزابيلا التي وضعت استرجاع بيت المقدس ضمن أهدافها الكبرى، وكانت هذه الأمنية بالنسبة إليهم بمثابة الأمنية التي لا يزال البعض يريدها عندنا وهي استرجاع الأندلس.

□ في الفقرة الأخيرة من كتابك الإسلام وأمريكا. هناك نقد واضح للمسلمين في كيفية التعامل مع قضايا السياسية والمشاكل الدولية الراهنة. هل هذا عتب موجه إلى العالم العربي الإسلامي لمراجعة طريقة نظره إلى الآخر؟

● فعلا، في آخر الكتاب تطرقت إلى كيف يمكن أن تكون الديانات محركة للصراع بين الشعوب، ونحن في العالم الإسلامي، (وهو شيء سبب لي الكثير من المشاكل مع أصدقائي ومعارفي المسلمين)، لا نتعامل مع تاريخنا وتراثنا بطريقة عقلانية، فالكثير من العقائد التي تروج هي محض أساطير وروايات وليست 'مبنية على أسس ثابتة وعلمية. في الغرب، يمكنك أن تنتقد كيفما شئت الديانات وتبين الخلل فيها، لكن نحن لا نزال نتعامل مع التراث مثل الأطفال، لأنه لا نتوفر بعد على قدرة للتعامل مع تاريخنا بالتجرد من العاطفة، نحن دائما في موقف دفاعي نعتبر أنفسنا مظلومين والآخر هو المخطئ ونمتلك الحقيقة، ونتيجة هذه العاطفة هي أن الآخرين ينتقدوننا متهمين إيانا بالتعامل بالقداسة مع التاريخ والموروث. وأدعو في هذا الكتاب إلى نقد التاريخ الإسلامي بنظرة عقلانية لتفادي ترك الثغرات الموجودة في موروثنا لانتقادات الآخرين.

علينا أن نعالج تاريخنا وأخطاءنا بأنفسنا. وأدعو في هذا الصدد إلى التسامح بشكل كبير مع حرية الفكر وحرية الرأي والتعبير كيفما كانت ومن أي جهة أتت، وقد كتبت سنة 2007 كتابا لم أشأ أن أترجمه إلى الغة العربية لأنه قد يثير ضجة كبيرة وعنونته بـ«دعوة إلى الهرطقة».

□ في الكتاب كذلك، دعوة إلى التعامل مع إسرائيل..

● إذا أردنا أن نتقدم يجب أن نتعامل مع إسرائيل كقوة اقتصادية وعسكرية عالمية ونسير إلى الإمام، وفي نفس الوقت، ركزت في الكتاب على أن العقيدة الإسرائيلية الصهيونية عقيدة مبنية على خرافات، لأن كل الدراسات الإيكولوجية أكدت على أن لا وجود لشيء، ولحد الساعة، بخصوص هيكل سليمان. لكن الفرق مرة أخرى أن المسلمين والعرب عندما يتعرضون للنقد يقومون برد فعل قوي، أما اليهودي أوالمسيحي فيتقبل الأمر بدون أن يهددك بالقتل أو بالثأر.

□ ما هو مستقبل العلاقات العربية الأمريكية مع استمرار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي واستمرار دعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل؟

على المدى البعيد ليس هناك مفر من التقارب بين أمريكا والعرب. وهنا أطرح سؤالا: من الأحسن لقيادة العالم أمريكا أم الصين؟

● يجب أن نعلم جميعا أن الصين غير مستعدة لتقبل وجهات النظر المختلفة، لأن سياساتها استبدادية قادرة على قمع الجميع ومنهم المسلمين. أما بالنسبة إلى إسرائيل فأنا أعتبرها عاملا ايجابيا في المنطقة.

□ عامل إيجابي في المنطقة؟

● أولا، في القرون الوسطى كانت هناك علاقات وطيدة بين المسلمين واليهود، عندما كان اليهودي منبوذا لدى المسيحي. ولنكن موضوعيين، إسرائيل دولة ديمقراطية ومتقدمة في العالم، ودولة كبيرة في المجتمع الدولي، وعلومها متطورة، فالجامعة العبرية أسست قبل تأسيس دولة إسرائيل، وهي تصنف ضمن أحسن الجامعات في العالم. وفي إسرائيل يوجد المسلمون ممثلين في المجلس الأعلى للقضاء وفي الكنسيت وينتقدون سياسات إسرائيل داخل البرلمان ولا يتعرض معارضوها لأية مضايقات. أكثر من ذلك، الفلسطينيون يعيشون في ظروف أحسن مما يعيشون فيه في بقية البلدان العربية الشقيقة. صحيح أنهم يعانون التمييز والعنصرية، لكن لا تصل إلى حجم معاناتهم في البلدان العربية الأخرى. مشكلتنا في العالم الإسلامي هو أننا تائهون ولا نعرف المستقبل الذي نريده، ونختبئ وراء مشاكل مثل المشكل الفلسطيني الإسرائيلي.

> المشكلة التي تعرقل حوار المسلمين مع الحضارات الأخرى هو العامل الديني. يجب أن نزيل العامل الديني عندما نريد أن نتحاور مع الآخرين

الأزمة في العالم العربي ليست أزمة أنظمة فقط

□ كيف تنظر إلى مستقبل العالم العربي بعد الربيع الديمقراطي الذي اجتاح المنطقة؟ وهل هذا يساعد في التقارب مع أمريكا أم أن الإسلاميين سيعرقلون هذا المسعى؟

● دعني أعطيك مثلا العراق، أزيلت فيه ديكتاتورية صدام وصعد نظام ديمقراطي أسوأ من نظام البعث الصدامي. ولهذا أعتبر أن الأزمة في العالم العربي ليست فقط أزمة أنظمة، المشكل الجوهري هو غياب العقل الديمقراطي الذي يتقبل التعدد والانفتاح والتسامح، وهذه الخصائص يجب أن تتوفر في كل المواطنين بداية. الثقافة العربية الإسلامية لا تعيش في الواقع تعددية اجتماعية وثقافية، بل نعيش في أحادية ثقافية، وهي ثقافة أساسها الدين. وهذا هو المشكل الكبير الذي نواجهه.